(العاقبة للتقوى)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ سيّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللَّهم صلِّ على سيّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ*قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ* قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:127-129].

عنوان خطبة اليوم:

(العاقبة للتقوى)

أيها الإخوة:

الأمور بخواتيمها، ومن ضحك أخيراً ضحك كثيراً، والآخرة هي الفاخرة، ويخبرنا قانون القرآن أن: ﴿ . . .الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه:132].

قد يظهر الباطل اليوم، وقد يعلو الظالم اليوم، وقد يرتفع الفاسق اليوم لكن السنة الإلهية تقول: ﴿ . . .الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه:132].

قد لا يسرك أمر الحق، وقد تؤذى بسبب اتباعك الصواب، وقد يخوّن الأمين ويؤتمن الخائن لكن القانون الرباني يقول: ﴿ . . .الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:132].

لعل امرءاً ينجو بالكذب، وربما نفعه التزوير والتحريف، ويحتمل أن يسره الوقوع في أعراض الناس ودمائهم، لكن السنة الإلهية ماضية تقول: ﴿ . . .الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:132].

الأذكياء هم الذين يضعون خططاً سنوية، والأكثر ذكاء هم الذين يضعون خططاً عشرية أو خمسينية، لكن أذكى البشر على الإطلاق هم الذين يخططون لعاقبتهم في الدنيا والآخرة لأن قانون الله: ﴿ . . .الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:132].

القرآن الكريم كله وتاريخ الأرض بأسرها وسنن الحياة جميعها تنبيك أن العاقبة للمتقين، وأقرأ في القرآن أربع آيات تصَّرِح بهذا القانون:

قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:128].

وقال في سورة هود بعد ذكر قصة سيدنا نوح عليه السلام وما قال لقومه وما قالوا له وما فعل معهم وما فعلوا معه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:49].

وقال في سورة طه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:132].

وقال في القصص: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:83].

عاقبة كل شيء آخره ومنتهاه، قال أحد العلماء: إنه مما يخدع الناس أن يروا الفاجر الطاغي أو الملحد الكافر مُمَكَّناً له في الأرض غير مأخوذ من الله تعالى، ولكن الناس إنما يستعجلون لأنهم يرون أول الطريق وأوسطه ولا يرون نهاية الطريق لأن السنة الإلهية تستغرق وقتاً طويلاً.

وردت كلمة التقوى واشتقاقاتها في القرآن الكريم فيما يقرب من مائتين وثمانية وخمسين موضعاً، وأصل كلمة التقوى في اللغة وقى، مأخوذة من الوقاية، والوقاية لا تكون إلا من خطر.

في الدنيا مخاطر كثيرة ومنزلقات خطيرة وعقبات كأداء والنجاة منها بتقوى الله تعالى.

في الدنيا امتحانات صعبة وبليات شديدة واختبارات عديدة والناجي منها والناجح فيها من يتقي الله تعالى.

في الدنيا طرق ملتوية وتيارات منحرفة وأفكار زائغة والنجاة منها بتقوى الله تعالى.

في الحياة فتن مغرية وشهوات مُرْدِية وأمراض أخلاقية معدية والنجاة منها بتقوى الله تعالى.

عرف العلماء التقوى فقالوا: هي أن يراك الله حيث أمرك وأن يفتقدك حيث نهاك.

وقالوا: هي أن تطيع الله فلا تعصيه وأن تذكره فلا تنساه وأن تشكره فلا تكفره.

وقالوا: هي التحرز بطاعة الله عن عقوبته.

وقالوا: هي ترك الذنوب وفعل الطاعات.

وقالوا: هي أن تتقي الشرك بالله ثم تتقي المعاصي والسيئات ثم تتقي الشبهات.

وبالإجمال، أُحب أن تحفظوا هذا التعريف: **هي فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه.**

فإذا فعلت ما أمر الله به وتركت ما نهى الله عنه فأنت من المتقين، وعند ذلك أبشر فإن العاقبة لك ومعك لأن: ﴿ . . .الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:132]، ﴿ . . .وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:83].

والتقوى دائرة مع المؤمن حياته، فهو باحث عن أمر الله ونهيه في كل حركة من حركاته وسكنة من سكناته لتكون العاقبة له ومعه، يبحث عن التقوى في صومه وصلاته ويفتش عنها في بيعه وشرائه، ويلتزمها في زواجه وطلاقه وحبه وبغضه، ويتمسك بها في مرافعاته القضائية وأعماله السياسية، لأن التقوى –التزام أمر الله واجتناب نهيه– سبب نجاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة، والعكس بالعكس.

● شاب جامعي جاوز العشرين من عمره من أسرة ثرية، عرضت عليه صديقته في الكلية نفسها بالحرام، وكررت المحاولة مراراً ومع ميله الشديد وحاجته للزواج ومع جمالها وإغرائها امتنع عما أرادت.

لقد نظر قبل ذهابه في أمر الله ونهيه فرأى أن الله تعالى يأمره بالعفة وينهاه عن الزنا وهذه هي التقوى. فامتنع عنها، فطلبت إليه بعدها أن يتزوجها بالسر قالت: أنت لا تريد الحرام نتزوج بالسر، قال: من سيعقد لنا!؟ قالت: شيخ، قال: من الشيخ!؟ قالت أنا آتيك به، قال: والشهود!!؟ قالت: من عندي واحد ومن عندك واحد...

أيضا امتنع، وهذا الصواب، وبعد رفضه لطلبها راحت تشتمه وتسخر منه وتهزأ به ثم مضت لشأنها ومضى لشأنه، وبعد حين تغيبت هذه الطالبة عن الجامعة لفترة طويلة وعلم هذا الشاب أن سبب تغيبها ظهور حمل عندها، مع أنها غير متزوجة!

لقد حمد الله كثيراً لأن تقوى الله وقته من الوقوع في هذه الفتاة التي اتخذت الرذيلة عادة لها...

التقوى: هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:132].

● لما رجع عمر رضي الله عنه من الشام إِلَى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف ويتفقد أحوال رعيته فمر بعجوز فِي خباء لها فقصدها فقالت: يا هذا مَا فعل عمر؟ قَدْ أقبل من الشام سالماً. فقالت: لا جزاه الله خيرًا.

قال: ولم، قالت لأنه والله مَا نالني من عطائه منذ تولى أمر المسلمين دينار ولا درهم، قال: وما يدريه بحالك وأنت فِي هذا الموضع، فقالت: سبحان الله، والله مَا ظننت أن أحدًا يلي على الناس ولا يدري مَا بين مشرقها ومغربها، فبكى عمر رضي الله عنه وقال: واعمراه كل أحد أفقه منك يا عمر حتى العجائز.

ثم قال لها: يا أمة الله بكم تبيعيني ظلامتك من عمر فإني أرحمه من النار، فقالت: لا تستهزئ بنا يرحمك الله، فقال: لست بهزاء، فلم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً.

فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت: واسوأتاه شتمتُ أمير المؤمنين فِي وجهه.

فقال لها عمر: يرحمك الله، ثم طلب رقعة جلد يكتب بها فلم يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم هذا مَا اشترى به عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي إِلَى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين ديناراً، فما تدعي عند وقوفه فِي الحشر بين يدي الله تعالى فعمر مِنْه

بريء. شهد على ذلك علي وابن مسعود، ثم دفع الكتاب إليَّ وقال: إذا أنا مت فاجعله فِي كفني ألقى به ربي عز وجل.

ربما يضرك اتباع الحق اليوم لكنه سيسرك غداً، ربما تؤذى إذا مشيت مع الحق اليوم لكنك ستفوز غداً ومن ضحك أخيراً ضحك كثيراً.. ﴿ . . .الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:132].

● في عام 2000م أنشأ شركة تجارية متخصصة بالاستيراد والتوزيع، أرسل رسالة مطولة يشرح فيها أمر شركته والصعوبات التي واجهته، ذكر فيها أن بداية العمل كانت صعبة جداً على مستوى توفر الموظفين الأكفاء وعلى مستوى المخالفات الجمركية والتموينية وحوادث سيارات الشركة ورد بعض الطلبيات بسبب مخالفتها للمواصفات...

وتتالت الصعوبات لسنوات، نظر هذا الأخ في أمر الله ونهيه في هذه الشركة يا ترى ما الذي أمر الله به ونحن لا نعمله في هذه الشركة؟ وما الذي نهى الله عنه ونحن نرتكبه في هذه الشركة؟.

لعلنا نخطئ مع الله فيعاقبنا بهذه الطريقة فوجد مما وجد، أن حساب الزكاة غير مضبوط بالشكل الصحيح فقرر البدأ بالحساب الدقيق للزكاة وبإخراج هذا المبلغ.

كان ذلك في عام 2003م ولاحظ بعدها كما يقول: تحسناً في حجم المخزون والسيولة النقدية وانخفاضاً في حوادث السير وارتفاع سوية المندوبين والموظفين فقرر بعدها إضافة صدقات إضافية يدفعها في سبيل الله فاضلة عن الزكاة.

كتب يقول: إن نتائج الأرباح عنده في عام 2006م نمت عن م2005 بنسبة مائة بالمائة فضلاً عن انعدام الحوادث في سيارات الشركة وغيرها من العواقب الحميدة.

إن القانون الإلهي يقول:

﴿ . . .الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:132]، ﴿ . . .وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:83].

يا أيها الإخوة:

إني نظرت في القرآن الكريم إلى فوائد التقوى، إلى فوائد امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه فوجدت منها:

- أن الله تعالى يبارك للمتقين في أرزاقهم بل يبارك لهم في أرضهم و سمائهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:96].
- ووجدت أن الله تعالى ينجيهم من المآزق والضيق: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:2-3].
- ووجدت فيها تيسير الأمور: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق:4].
- ووجدت فيها محبة الله تعالى للمتقين: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:76].
- ووجدت فيها أن الله تعالى يكون معهم حافظاً وناصراً ومؤيداً وأميناً: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:194].
- ووجدت فيها أنه يجزيهم الجنة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر:54-55].

ولأن التقوى -أيها الإخوة- ليست شيئاً سهلاً، ولأن فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه ليس أمراً سائغاً للنفس، وجدت الله تعالى يقرن التقوى في القرآن الكريم بالصبر في مواطن عديدة: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:90]. ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران:186]. ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران:120].

كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول لأحد أصحابه عمر بن مجاهد: إذا رأيتني ضللت الطريق فخذ بمجامع ثيابي وهزني هزاً عنيفاً وقل لي: اتق الله يا عمر فإنك ستموت.

وسئل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن التقوى، فقال للسائل: هل خضت مخاضة طين!؟ قال نعم. قال فماذا فعلت!!؟ قال: شمرت واجتهدت -اجتهدت أن لا يصيبني الطين والكدر-. قال: هذه هي التقوى.

الآن في ختام هذه الخطبة، كيف تصبح من المتقين، بل كيف نصبح من المتقين لتكون العاقبة معنا ولنا!؟

لاشك أننا جميعاً نحب التقوى ونحب أن نمتثل ما أمر الله به، ونتضايق إذا خالفنا أمره، ولاشك أن المؤمن لا يحب أن يخالف أمر ربه، فكيف تصبح من المتقين لتكون العاقبة لك ولتنال الفوائد الكبيرة للتقوى!!؟

لكي تكون من المتقين عليك بأمور ثلاثة:

أولها: صاحب الأتقياء ودع الفاسقين الفاجرين، كُن في جانب أهل التقوى ولا تكن مع أهل الفسق والفجور، لأن الصاحب يعدي، والجليس يردي.

ثانيها: ابحث لنفسك ولأولادك عمن يعلمك أوامر الله ونواهيه، ثم هو يربي فيك مادة التقوى ويجعلها فيك ملكة.

ثالثها: اسأل الله تعالى أن يرزقك التقوى. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع فيقول: ((**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**))[1].

تزوّد من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر!؟

فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكاً ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر

وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم في ليلة القدر

وكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

والحمد لله رب العالمين

---

[1]() أخرجه مسلم في "صحيحه" رقم (2722).